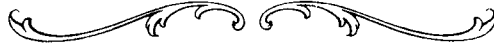


# «ما قاله أستاذ العربية عن الراوي» والصابونة النابلسية

موسى م. خوري



- نحمده على كل شيء .  
- الأحوال جيدة يا ابن الناس، لقد تعودت على الشكوى يا أستاذ، ولا أنا غلطان؟  
- غلطان يا حاج، غلطان والله .  
- كنت تقول لي دائماً: «يا حاج راضي يجب أن يتغير الوضع، الوضع لا يطاق يا حاج راضي» وكنت أسألك ماذا تقصد بذلك فتجيبني إجابات طويلة فهمت منها شيئاً وتظاهرت بفهم بقیة الأشياء. لقد تغير الوضع فعلاً يا أستاذ، ألا تلاحظ ذلك من خلال طلابك؟ بيني وبينك، لقد قال لي حفيدي إنك تشجعهم على الخروج إلى الشوارع، ولا أنا غلطان؟  
- لا يا حاج لست مخطئاً. أنا لا أرى الخير إلا في توضيحاتهم، ولا أعلق أمالي إلا على إصرارهم، هم الشيء الذي أخشى أن نضيعه يا حاج .  
- أنا الآن لا أفهمك! عدت يا أستاذ إلى أسلوبك القديم .  
- كثيرة هي المشاكل التي نعاني منها يا حاج راضي!  
- الشكوى مرة أخرى!  
- الراوي يا حاج، يجب أن يموت الراوي . وقطعة الصابون النابلسي يجب أن يتغير شكلها .  
- لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد طرد الراوي من المقهى قبل سنين طويلة يا رجل!  
- أراه في الشوارع باستمرار، والمشكلة أنه لم يعد يتكفي بحكاياته الخرافية القديمة، بل أخذ يروج بين الناس حكايات جديدة . والأدهى من ذلك كله أن بعض الناس يطربون لقصصه هذه

ضرب «الترجيلة» بملقطه النحاسي ثلاث مرّات وهو يصيح :  
«ناره، ناره، ناره» .  
فهرع إليه صبيّ القهوة وهو يحاول أن يحمل مع المجرمة حذاءه الذي وهبه إياه جارهم صاحب أكبر قدم في الحيّ .  
- انفلقت وأنا أنادي عليك، ألا تسمع يا ولد!  
- كنت مشغولاً يا حاج .  
- صلّح الترجيلة يا ولد .  
يزور الحاج راضي مقهى القرية يومياً ليقضي فيه أمسيته بين تدخين الترجيلة وشرب القهوة والتحدث في الأمور العامة خصوصاً السياسيّة منها . وأحب الأمسيات إلى قلب الحاج راضي أمسية الخميس، الأمسية التي يزور فيها أستاذ اللغة العربية في القرية المقهى ليقضي فيه - هو الآخر - ساعاتٍ يخرج فيها عن عاداته التي يعرفها الجميع - القراءة .  
يجلس الحاج راضي عادة في صدر المقهى وينظر باستمرار - خصوصاً في أمسية الخميس - إلى الباب منتظراً - دون شعور - قدوم الأستاذ «حليم» . وبينما هو يسحب نفساً طويلاً من نرجيلته دخل الأستاذ بجقيته الجلدية الصغيرة، وما كاد يصل إلى وسط المقهى حتى صرخ الحاج راضي صرختين: صرخة يرحّب فيها بالأستاذ، وصرخة يطلب فيها من صبيّ المقهى أن يصلّح له الترجيلة ويحضّر له قهوته «المزبوبة» .  
- أهلاً بالأستاذ، القهوة منوّرة، تفضّل .  
- أهلاً بالحاج راضي، منوّره بوجودكم .  
- كيف الحال يا أستاذ؟

ويرددونها فيما بينهم باستمرار. هل سمعت بعض قصصه يا حاج، هل سمعت؟ إن له فيها مصنفات كثيرة.

- وصلتني بعض أخباره عن طريق رواد المقهى.

- هذه بعض أسماء قصصه، اسمع يا سيدي:

«البزة السحرية لمقاومة الرصاصات الحية».

«المقامة التكتيكية لردع الرصاصات البلاستيكية».

«فصل الخطاب في أفضلية علم الحارات على علم الكتاب».

«كتاب المآب والرجوع في كيفية تفادي استنشاق الغاز المسيل للدموع».

- يا لطيف! لم يكن عندي علم بفصاحته، هل سمعت بعض قصصه؟

- رأيت قبل أيام في ساحة القرية لأمًا حوله مجموعة من الكهول والأطفال والنساء يقص عليهم تفاصيل مصنفه الأول ويقول:

«وبعد، يا سادة يا كرام، عندما انتهى الحديث عن الأمم المنسية وخصصنا القول للحديث عن القضية، جاء الآن دور العساكر والأطفال والبزة السحرية. يوم كثر استخدام الجنود للرصاصات الحية، كثرت - يا سادة يا كرام - الرحلات إلى الشواطئ الرملية. فقد عرف واحد من الرحالة الجوّالة طريقة فعّالة لمقاومة الرصاصات الحية».

وعندما وصل الراوي هذه النقطة في حديثه يا حاج فغر الناس أفواههم، فالتقط صاحبنا أنفاسه وشحن همته من انصياحهم لحديثه واستطرد قائلاً:

«نعم يا سادة يا كرام، فقد عرف واحد من الرحالة الجوّالة

طريقة فعّالة لمقاومة الرصاصات الحية، حين ألهمه الله خير إلهام ساعة جاءه في المنام عالم في الأمور ورمى بين يديه قطعة من ورق مسحور، رسم عليها بخطوط من نار ونور شكل البزة السحرية لمقاومة الرصاصات الحية. البزة أيها السادة الشرفاء سهلة الصنع وميسورة الاقتناء. قوامها من القماش المقوى طبقتان، تفضّل على قياس الجسم بإتقان. يترك عند صنعها في موضع الرقبة فتحة صغيرة يدفع من خلالها الرمل بكميات وفيرة. وهكذا أيها السادة الجلّاس تصبح المتاريس محمولة ومنقولة على أجساد الناس.

تصدّ البلى عن الكبير والصغير، وتردّ كيد المحتلّ الحقيّر».

... ها... ما رأيك يا حاج بذلك؟!!

- تموت الناس وهي تتعلم يا أستاذ، ولا أنا غلطان؟ دنيا...  
كر كر كر... ناره، ناره يا ولد ناره... انفلقت وأنا أنادي عليك ألا تسمع يا ولد.

- السّلام عليكم يا حاج.

- وعليه... أستاذ، أستاذ، لم تحدثني عن الصابونة النابلسية.

- شكلها لم يتغيّر، مكعبة حادّة الأطراف ولا رائحة لها منذ عهد جدّي الذي عاصر الأتراك. ويقال يا حاج، إن الراوي يفضلها على صابون العالم كلّه، ويفاخر دائماً بأنها السرّ وراء غزارة شعره ونضارة وجهه. صابون العالم يتغيّر وصابون نابلس لا يتغيّر. ما زلت أذكر يا حاج يوم وقعت على رأسي وأحدثت حافتها هذه الفجوة التي تراها حتى اليوم. شكلها لم يتغيّر يا حاج، إنها عديمة اللون والرائحة. ولا أنا غلطان؟

فلسطين

## دار الآداب تقدم

قصائد خائفة

شعر

جودت نجر الدين

وردّة النعم

شعر

نوبي بزيغ